المعلم الجديد

تصدرها وزارة المعارف فى الجمهورية العراقية

الجزء الاول — كانون ثان ـ شباط ـ آذار — المجلد الرابع والعشرون

المعلم وجيل (١٤) تموز

بقلم : سيادة الزعيم الركن اسماعيل العارف
وزير المعارف

كان المعلم منذ الأزل رسولا دائميا على وجه الارض ، يقف فى الطليعة ويشير بيده الى الأمام ليدل جحافل البشرية على طريقها الواضح فى مسيرتها الأبدية نحو التقدم والازدهار ...

فرسالة المعلم ، متصلة لا تنقطع ، وأمانته غالية يؤديها هو ويسلمها من يده الى الآخر ومن جيل لجيل ، فوجوده قوة مبدعة خلاقة ومعجزة آيتها تلك الاشعاعات الفكرية والعلمية والتربوية المنبثقة فى كل مكان .. ومن هنا فأن تيار المعرفة البشرية كان وما زال هادرة أمواجه متصلة حلقاته أبدا منذ شعر الانسان بوجوده ، ومنذ تفتحت عيناه على النور ، كل ذلك بفضل وجود المعلم صانع الأجيال وخالق الحضارة والمدنية .

واليوم وبعد ثورة الرابع عشر من تموز ، ما أمس الحاجة الملحة الى جهود المعلم الذى حررته الثورة المباركة من رواسب الماضى والاوهام السحيقة ، وما أعظم التبعات الجسام التى تتوقف على ادراك المعلم وخطورة رسالته التعليمية والتربوية ولا سيما ، هنا فى هذا البلد الأمين ... وذلك كذلك لأن التحرر الذى حصل عليه المعلم بعد ثورة تموز الجبارة ، انما يجب أن يقترن من قبل المعلم بادراك عميق ، وتفهم حقيقى لأهمية رسالته المقدسة فى الحياة .. هذه الرسالة ، التى لا يبلغها بالصدق والتضحية

مكتبة الروضة العراقية
الرقم ١٧٠
التاريخ ١٤/٦/٧٤

الاستشراق الروسى ـ السوفيتي

(٢)

عبد الحميد عبد الكريم العلوجى

معلم مدرسة النجابة الابتدائية ـ بغداد

ومما تقدم أستطيع أن استقطر هذه العصارة : ان مدارس الاستشراق البطرسي ـ الكاترينى عبارة عن مجمع واحد وعالم ومدرسة جامعة وجامعة ومدرستين وكلية ، وبامكان القارىء أن يتحرز من مغبة هذا المزيج ... على اني استطيع أن ابرىء اخى الدكتور مما قارف ، فقد غشه العقيقى ، والعراقيون ـ عموما ـ ذوو نيات حسان .. ولكن الويل كل الويل لمن أراد بهم سوءً .

ولندع من جديد زميلنا الدكتور يخبرنا عما حدث بعد ذلك :

« ولما قامت ثورة اكتوبر الجبارة عام ١٩١٧ أسس الاتحاد السوفيتى مراكز جديدة للثقافة الاستشراقية منها (١) جامعة قازان (٢) جامعة موسكو (٣) باكو » ... قارن هذا بما يقول العقيقى : « ولما قامت الثورة الشيوعية ١٩١٧ ... لم تنس الاستشراق فنهضت به نهضة مشكورة ووزعت مراكزه على قازان وموسكو وبتروغراد » ، ثـم ذكر فى (ص ١٣٥ من كتابه) جامعة باكو .. ولكن الدكتور أغفل بتروغراد حتى لا يتهم بالنقل الحرفى .

ان الدراسات الشرقية فى الاتحاد السوفيتى قد تركزت فى المجامع العلمية والجامعات وفى المعاهد المنبثقة عنهما ، فموسكو قاعـدة أكاديميـه العلوم ، وقد أضيف اليهـا المتحف الآسيوى بمكتبته العامرة التى بلغت

مخطوطاتها عددا لم تبلغه مكتبة مدرسة اللغات الشرقية فى باريس ، وبعد الثورة مباشرة احتضنت الاكاديمية جميع المخطوطات التى كانت موجودة فى مكتبة لينغراد العامة ، ولهذه الاكاديمية معاهد كثيرة منتشرة فى ارجاء الاتحاد السوفيتى كتفليس وباكو وتركمينيا وتاجيكستان ، وهى منصرفه فى الوقت الحاضر الى دراسة التراث المحلي • وهذه الاكاديمية حذفت من الوجود أكاديمية العلوم الامبراطورية والمجمع الآسيوى • اما جامعة موسكو فقد شيدت اختصاصها على الشؤون العلمية فكان من فروعها معهد اللغات • وفى موسكو تحول معهد لازاريف الى معهد اختص باللغات الشرقية ولا سيما لغات الشرق الاقصى • وتقمصت جامعة لينغراد جامعة القديس بطرسبورج ، ومن فروعها معهد الابحاث التاريخية للمقابلة بين لغات الشرق والغرب وآدابها ، والمعهد الشرقى ، ومعهد جديد للغات الحية • وهناك جامعات اخرى حديثة وأكاديميات فى طشقند وباكو وتفليس واريوان وستالينباد تتمتع باساتذة فى ميعة الصبا ، تربطهم بتراثهم الشرقى أكثر من وشيجة • وفى جامعة كييف تدرس لغات الشرق الادنى تحت اشراف ورعاية الاكاديمية الاوكرانية •• هذا وتجب الاشارة الى جامعة خاركوف وأكاديميتى اوزبكستان وجيورجيا ، والى الجمعية العلمية لمعهد الشعوب الشمالية •

واستطرد جمال الدين بعد أن ارهقه الحديث عن الجامعات قائلا : « واهتمت هذه الجامعات بجميع المخطوطات •• حتى بلغ عددها ٥٠ الف مخطوط » ، وقبله قال العقيقى : « فبلغت خمسين الف » ، وهذا الاحصاء الدقيق لا يضحك فقط « اوليغ درايز » مدير دار المنشورات الشرقية بموسكو اليوم ولكنه يضحك جميع الولعين بالبيلوغرافيا •• حتى فى

بغداد ، ولا أقول فى مكتبة الكونغرس الاميركية لئلا اضيع وقت « سدنى غلاسكر » فى ضحكة عريضة تدمع لها عيناه !!

اما مدارس الاستشراق الروسى ـ السوفيتى فتضم الشرق القديم والشرق الاقصى والمغوليات والدراسات التركية والهندية والاسلامية والعربية والايرانية والقفقاسية واللغات السيبرية • وسأقتصر الآن على كشف ما لدى المدرستين الاسلامية والعربية من نشاط وفعاليات •• على وجه الايجاز :

ان الاسلام ، فى الاتحاد السوفيتى ، لا يزال يمكث فى المسجد والقلب ، ولذلك استطال ميدان الدراسات الاسلامية هناك ، فنشرت السيدة كاشتاليف (Kashtalev) الاصطلاحات الفنية فى القرآن الكريم ، وقدم الاستاذ شمدت (A. E. Schmidt) (١٨٧١ ـ ١٩٣٩) دراسة تضىء مماحكة نادر شاه للسنة والشيعة • وألمع وجه فى الدراسات الاسلامية هو بارثولد (V. V. Barthold) (١٨٦٩ ـ ١٩٣٠) الذى كان آخر ما يذكر له عشاق الحركة الاستشراقية هو كتاب (حدود العالم) النص الجغرافى الفارسى الوحيد المصنف عام ٩٨٢م ، وقد نشره محققا مع مقدمة نفيسة • والتقط تلامذته زيمين (Zimin) وياكوبوفسكى (Yakubovsky) واومنياكوف فضلاته وطوروا أفكاره ، فقد كان تأثير الرجل على أنداده المعاصرين بليغا بما يمتاز به من دقة اسلوب وبراعة اقناع •

ودرس ياكوبوفسكى الوضع الاقتصادى فى العراق ابان القرن الثامن ، ونشر برتلز (Berthels) مجموعة قيمة من الوثائق الاقتصادية (من محفوظات شيوخ بخارى) وكتاب (قاموس نامة) ،كما نشر موريلاند

(Moreland) التـــاريخ الاقتصادى للامبراطورية المغوليـة • وكان بتـروشـيفسـكى (Petrushevsky) قد نشر قبـل ذلك جميـع المعلومات الاقتصادية التى أدرجها حمد الله مستوفي فى كتابه (نزهـــة القلوب) •

ودرس المستشرقون السوفيت أثر الفلسفة الافلاطونية والافلوطينيـة فى تطور الفلسفة العربية ـ الاسلامية ، وقد قدموا بحوثهم فى هذا الصدد فى مهرجان ابن سينا الذى انعقد فى طهران •

اما المدرسة العربية فقد كان كراتشكوفسكى قطب الرحى فيها ، وهو تلميذ البارون فكتور روزن • وقد نشرت قائمة مؤلفاته عام ١٩٣٦ بمناسبة العيد السنوى الثلاثين لاستاذيته مستوعبة (٣٤٤) دراسة • والعالم العربى لم ينس ، بعد ، جهوده الطيبة التى بذلهـــا فى اصدار (رسالة الملائكة) للمعرى و (كتاب البديع) لابن المعتز ، وديوان الوأواء الدمشقى • وفى عام ١٩٣٩ نشرت تحت اشرافه ترجمة حديثة لرحلة ابن فضلان الى منطقة الفولغا أنجزها كوڤاليفسكى وفقا للنص الذى اكتشف فى مدينـــة مشهد الايرانية عام ١٩٢٣ • والمدرسة العربية تعتز ، اليوم ، ببعض الآثار الروائع التى تعايش الاكاديميات فى كل مكان ، فقد نشر يوشمانوف الاجروميـة العربية الكلاسيكية ، كما نشر قايلنجك اللهجات العربية وفقه اللغة العام • وأسهمت السيدة فيراكراتشكوفسكى فى عدة مؤلفات مهمة لزوجها ، وهى تمتاز بخبرتها الجيدة فى النقوش الكتابية الاسلامية ، وهـــذا ما خولها أن تكون أحد ناشرى (الاصول العالمية للخطوط العربية) • وقام الزوجان كراتشكوفسكى بتفسير احدى الوثائق العربية المبكرة ، وكانت رسالة عثر عليها قرب سمرقند ، وفى صدرها باللغة الصغدية المحلية « الى والي خراسان

جراح » •• وهذه الوثيقة قد سلطت الاضواء الكافية على التاريخ المحلي ، ووثقت بصورة بالغة ونهائية تقديرات ابن جرير الطبرى التى شيدها على رواية المدائني •

والمستعرب الآخر الذى قدم خدمات واضحة للدراسات العربية هو كريمسكى الذى صنف مكتبة كاملة للآداب العربية • وهذا الرجل هو الذى نقل ألف ليلة وليلة الى اللغة الروسية وكتب لها مقدمة مسهبة ثم نشرها فى موسكو عام ١٩٠٤ • وانقطع يوشمانوف الى وضع الاجرومية العلمية الحديثة للغة العربية •• بينما انجز بارانوف قاموسا مفصلا للاساس اللغوى العربى بعد دراسة مرهقة صرفها فى الخزائن العربية •

وعقد المستعربون السوفيت مؤتمرين فى لينغراد ، الاول فى سنة ١٩٣٥ وقد حضره حوالي (٧٠) مستعربا استمعوا فيه الى محاضرة كراتشكوفسكى (تاريخ الادب العربى ووظيفته فى الاتحاد السوفيتى) ومحاضرة ياكوبوفسكى (العراق فى القرنين الثامن والتاسع بعد الميلاد) ومحاضرة لوتسكى (الثورة الوطنية السورية ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧) ومحاضرة بوريسوف (بعض المخطوطات المعتزلية المكتشفة فى لينغراد) • والمؤتمر الثانى سنة ١٩٣٧ وقد كرس لابن سينا بمناسبة مرور المائة التاسعة على وفاته ، وهم يعتبرون الشيخ الرئيس مفكر آسيا الوسطى ، وقد حاضر فى هذا المؤتمر بوريسوف وغيره •

وما دمنا فى صدد الدراسات العربية ، فلنستمع قليلا الى الدكتور جمال الدين •• فهو يقول : « وفى سنة ١٩١٩ انشئت دائرة الآداب العالمية بهمة وتوجيه الكاتب السوفيتى مكسيم غوركى حيث طبعت ونشرت روائع الآثار العربية القيمة » •• وهذا النص مسلوخ برمته من العقيقى مع بعض

التعديل ، فالعقيقى لم يقل (بهمة وتوجيه) وانما قال (بفضل) ، ولم يقل (الكاتب السوفيتى) ، ولكنه قال (الكاتب الروسى الكبير) •• فالدكتـور جمال الدين ، اذن ، يجيد الترجمة من العربية الى العربية !!

ومهما يكن الامر ، فمكسيم غوركى شيد هـذه الدائرة وسماهـا (Vsyomirnaya Literatura) (الاداب العالمية) ، وخلال عمرها الذى دام من ١٩١٩ حتى ١٩٢٥ أنجزت من الترجمات ما لا تزال تحمد عليه الى اليوم •

ويقول جمال الدين : « وقامت مجـلات خصصت موادها للشـؤون الاستشراقية أهمها مجلة (النار) برئاسة تحرير العلامة كوندورشكين » •• وهذا النص مجلوب من كتاب العقيقى (ص ١٢٧) مع حذف كلمـة (Ogni) التى تعني « النار » ، ولهذه المجلة وجود تاريخى طبعا ، فقـد صدرت بعد ثورة اكتوبر ، ودعمها كوندوروشكين (Konduruschkin) بما انطوى عليه من مواهب •• ولكن اقتصار جمال الدين (والعقيقى) على ذكر هذه المجلة دون الاشارة الى سواها لهو تجنٍ فظ على واقـع الاستشراق السوفيتى •• فهناك فى موسكو وغير موسكو مجلات •• مئات المجلات تعايشنا ، وتكتب الكثير عن ثقافتنا ـ نحن ابناء الشرق الاوسط ـ وتاريخنا وفولكلورنا واقتصادنا ، وتسلحنا بالأدعية والتمائم التى تردع عنا أشباح الاستعمار ، ومع ذلك لم يذكر الدكتور والاستاذ واحدة منها •• ولكنهما ذكرا « Ogni ـ النار » التى انتهت رسالتها فجنحت الى المغيب منذ أمد طويل •

ان المجلات ، هناك ، كثيرة ••• والمشهور منها : مجلة الاخبـار (Izvestiya) التى تصدرها أكاديمية العلوم فى الاتحـاد السوفيتى ،

وهى مجلة قسم العلوم الاجتماعية ، وقـــد تناسلت منها خمس مجـــلات انفردت كل واحدة منها بقسم خاص كالعلوم الانسانية واللغـــة والادب والتاريخ والفلسفة والآثار والاثنوغرافيا • وقد أصدرت الاكاديمية العلمية خلال (١٩٢٤ ـ ١٩٣١) مجـــلة (قـــرارات الاكاديمية العلميـــة) (Doklady Akademi Nauk) وكانت زاخرة بالمواد الشرقيـة • أما مجلة (الحوليات) (Zapiski) فقد استغرقت حياتها اربعة أدوار •• اذ عندما الغيت الجمعية الاثرية الامبراطورية وحلت محلها أكاديمية الثقافة المادية التاريخية •• احتفظت هذه بمجلة (الحوليات الشرقية ـ قسم الآثار الروسية) المشهورة فى الاوساط العلمية باسم (Zvo) وقد صدر مجلدها الرابع والعشرون عام ١٩١٧ والخامس والعشرون عام ١٩٢١ ، ثم دخلت دورها الثانى فسميت (الحوليات الجامعيـة ـ الشرقية للمتحف الآسيوى) واشتهرت باسم (Zkv) ، وكانت وقتذاك موئلا للمستشرقين الجامعيـين فى أكاديمية العلوم ، وظهرت مجلداتها الخمسة فى الاعوام ١٩٢٥ـ١٩٣٠، ثم دخلت دورها الثالث فسميت (حوليات المعهد الشرقى فى أكاديميـــة العلوم السوفيتية) واشتهرت باسم (Ziv) ، وقد صدر منها فى الاعوام ١٩٣٢ – ١٩٣٩ سبعة مجلدات • واخيرا أصبحت ، فى دورها الرابع ، مجـــلة (الابحـــاث الشرقيـــة السوفيتيـــة) (Sovetskoye Vostokovedeniye) ، وقد طلعت عام ١٩٣٩ • وهناك ايضا مجـــلة (الحوليات الشرقية) (Vostokoye Zapiski) التى يصدرها معهـــد اللغات الحديثة فى لينغراد • ولتعريف المطبوعات نشرة خاصة (المكتبـــة الشرقيـــة) (Bibliografiya Vostoka) وقد صدرت عام ١٩٣٢ • وتطبع فى لينغراد مجلة (الشرق) (Vostok) ، وأبرز محتواها الفنون

الشرقية والروائع المترجمة من لغات الشرق • وهناك مجلات اخرى كايران (Iran) والمجموعة اليافثية (Recueil Jephétique) والشـــرق الحـــــديث (Novy Vostok) والمجـــــاميع الشـرقيـــة (Vostochniye Sborniki) والعالم الشرقى (Skhidni Svit) والمجاميع الفلسطينية (Palestinski Sbornik) •• وغيرها مما لا يتسع لذكرها هذا الرد الموجز •

وللاستشراق عنـــد جمال الدين « جهوده وانتاجه » ، ومن يدرى فلعله انبهر حين أحصى « عـــدة من تآليف ومخطوطات شرقية عربيـة » نشرها الاتحاد السوفيتى « منها : الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وترجمـــة القرآن الكريم وطوق الحمامة وحي بن يقظان وحيـاة النبى محمد (ص) ورسائل اخوان الصفا ومقامات الحريرى والفارابى وابن رشد والبيرونى »•• وهذا نشاط قديم فى ميدان النشر هناك ، واننى حسبت بادىء ذى بدء ان الدكتور جمال الدين قد استقى هذه المعلومات من عبدالرحمن سلطانوف•• ولكنى ـ مع الاسف ـ وجدتها راقـــدة فى الصفحات (١٢٦ و١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١) من كتاب العقيقى •

ويتابع الدكتور قائلا : « بالاضافة الى ترجمـــة لآثار شعراء الشرق العربى من المعاصرين فى العراق وسوريا ولبنان ومصر وفلسطين وتقديمها للمواطنين السوفيات باسلوب راق وترجمة موثوقة وتركيز علمى كمـــا أحيلت عدة مخطوطات بفضل دراسات وابحاث العلامة المستشرق الكبـــير كراتشفوفسكى سنة ١٨٨٣ ـ ١٩٥١ » ••• عبارات متخاذلة عرجاء ، وأنا لا أدرى كيف وقع الدكتور فى الشرك ، فعهدى به سليم القلم ، ناصـع البيان •• ولكنى مؤمن بأن من يستهويه كتاب العقيقى لابد أن يعانى ما وقع

فيه الدكتور ... فمن يفكر قليلا بقول الدكتور « بالاضافة الى ترجمة لآثار .. الخ .. وتقديمها للمواطنين السوفيات باسلوب رائق وترجمة موثوقة » يجد أن الترجمة فى الاتحاد السوفيتى تقدم بترجمة اخرى !.. ومن يستمع اليه ـ أقل من القليل ـ وهو يقول « كما أحيلت عدة مخطوطات بفضل دراسات وابحاث العلامة كراتشفوفسكى سنة ١٨٨٣ ـ ١٩٥١ » .. يتساءل : لمن احيلت ؟ .. وماذا صنع بها الدهر ؟.. وهل المحال اليه ضمير مستتر ؟.. وأين استتر ؟.. وبماذا نقدره ؟..

ومما يجب أن لا نمر عليه مر الكرام هو أن العقيقى حين عقد الكلام على الاستشراق الروسى وزع مادته السمينة على (٣٤) مستشرقا ، وقد وجدتهم فريقين : فريقا يجر وراءه سنتى الولادة والوفاة ، وفريقا انفرد بعضه بسنة الوفاة دون الولادة وانفرد البعض الآخر بالعكس ، وعندما تحدث الدكتور عن المستشرقين الذين « تثقفوا بجامعات الاتحاد السوفيتى » أكد على أن « عددهم وافر تزخر بهم دوائر المعارف العالمية » .. وليته غرف مما زخرت به تلك الدوائر التى ذكرها عفواً فهو لم يرجع الى أيه واحدة منها ، وانما اخبر قراء المعلم الجديد بأنها تزخر بهم وحسب ، ولذلك لم أعجب حين رأيته يتهافت على مائدة العقيقى ، فيشبع ، ثم يقول بعد حمد الله والصلاة على نبيه : « نذكر » أى من المستشرقين الذين تزخر بهم الانسكلوبيديات « أشهرهم » . وباستطاعة القارىء الآن أن يحزر « أشهر » المستشرقين الذين انتخبهم الدكتور ... انهم ليسوا غير ذلك الفريق الذى جرّ وراءه ثمانية أعداد ببركات العقيقى فذكر لنا منهم عشرة .. حتى يقال ان الدكتور قد استكمل فى بحثه جميع عناصر « المنهج » العلمى . فهناك بين (العشرة) اربعة مستشرقين نقل الدكتور أسماءهم وسني ولادتهم

ووفياتهم ، بأمانة ، من العقيقى ، وهم جان ميخائيلس وبرزين وفكتور روزن وكراتشكوفسكى .. أما الستة الآخرون فقد وردوا عند العقيقى مشوهين وانطلى هذا التشويه على الدكتور ، فذكرهم لنا بدون تعديل هذه المرة ، فزعم ان منهم كولويسكى (١٨٠٠ - ١٨٦٠) بينما هو كوفاليفسكى (١٨٠٠ - ١٨٧٨) ، وان منهم خانيكوف (١٨١٠ - ١٨٧٩) بينما ولد هذا الرجل عام ١٨٢٢ وتوفى عام ١٨٧٨ ، وان منهم دورن (١٨٠٥ - ١٨٨١) بينما كانت ولادته عام ١٨٠٠ ، وان منهم جرجاس (W. Guirgass) (١٨٣٤ - ١٨٨٨) بينما هو (V. Girgass) (١٨٣٥ - ١٨٨٧) ، وان منهم غوتوالد المولود عام ١٨٢٢ بينما هو مولود عام ١٨١٣ ، وان منهم مستشرقا يدعى جان روفزرن (١٨٩٤ - ١٩٢٢) بينما لا يوجد مستشرق روسى بهذا الاسم وبهذا العمر ، فاذا كان الدكتور قد انتزع حياة هذا المستشرق (العنقاء) من احدى دوائر المعارف العالمية فليذكر للقراء اسمها دفعا للتجريح الظالم .. ولكنى لا أظنه يقدر على ذلك !

وعلى أية حال فهذا ما وددت أن اسجله تعليقا على بحث الدكتور جمال الدين ، واننى لأرجو أن ينتفع به كما أرجو أن يبسط للناقد يداً صفوحاً ...